

# ((جین ایر))

تألیف: شارلوت برونتی

## الفصل الأول

### عراك شرس

كان من المستحيل التنزه في ذلك النهار. فمع أننا تجولنا في الحديقة الجرداء لمدة ساعة في الصباح، والطقس كان دافئاً نوعاً ما، إلا أنه منذ الغداء، بدأت ريح الشتاء الباردة تهب، حملة معها غيوماً داكنة وأمطاراً فزيرة بحيث اسحال الخروج من المنزل. وبما أنني كرهت كثيراً النزاهات الطويلة، خاصة بعد ظهر الأيام الباردة، سررت لهذا التغيير المفاجئ في الطقس. فالمجيء إلى المنزل عند الغسق كان رهيباً بالنسبة إلي - بأصابع أيدٍ وأرجل مجلدة، وقلب أحزنه توبيخ الممرضة بيبي والإدراك كم كان جسدي الصغير الهزيل ضعيفاً، بالمقارنة مع أجساد إليزا، جون، وجورجيانا ريد.

جلس أبناء خالي أليزا، جون، وجورجيانا الآن مع والدتهن في غرفة الجلوس في منزلهم، غايتسهيد. كانت مستلقية بالقرب من الموقد، وأطفالها الأعراء حولها. شعرت بغاية السعادة لأنهم لم يكونوا يتشاجرون ولا يصيحون. إلا أنني طردت من المجموعة. فقد قالت أنها نادمة لاضطرابها إلى أبعادي، وأنها إلى أن أحاول بإخلاص التصرف بمزيد من اللياقة وأني طبيعة أكثر ودية ورقة، لن تستطيع السماح لي بالملذات المخصصة فقط للأطفال الطيبين والمطيعين.

سألتها: ((لكن مالذي فعلته؟))

((كوني مهذبة والزمي الصمت، ياجين، فأنا لا أحب الأسئلة أو الاعتراضات. لا ينبغي للأطفال التحدث مع الأكبر سناً بهذه الطريقة. ابتعدي عن الغرفة، والزمي الصمت إلى أن تتمكنين التكلم بلطف.))

سرت ببطء في اتجاه غرفة طعام صغيرة مجاورة لغرفة جلوسهم. شملت الغرفة الكثير من رفوف الكتب، فتناولت كتاباً بعدما تأكدت أنه غني بالصور. تسلقت إلى حافة النافذة، وبعدها رفعت قدمي، جلست متربعة. وبعدها سحببت الستائر الحمراء، شعرت بأنني محمية وبعيدة عن أنظار الآخرين.

كان كتاباً ذا صور ملونة جميلة. كل صورة روت قصة غامضة ومثيرة للغاية - مثيرة تماماً كالقصص التي روتها لنا بيبي أحياناً في أمسيات الشتاء عندما يصدف أن تتمتع بمزاج جيد، مستوحذة على أنفاسنا وانتبهنا الملتهمف بذكريات الحب والمغامرة المأخوذة من الأغنيات والروايات القديمة.

فرحت كثيراً وأنا أنظر إلى الكتاب بعينين ملتفتتين - لم أخش شيئاً سوى المقاطعة، وسرعان ما أتت. إذ ناداني جون ريد. توقف برهة ينتظر رداً، فوجد الغرفة فارغة. فجأة صرخ: ((أين هي؟ ليزا! جورجي!)) شرع ينادي أخته.

((ليست جاين هنا. أخبر أمي أنها فرت إلى المطر . يالها من حيوانة رديئة.))  
فكرت: لحسن الحظ أنني سحبت الستائر .)) ثم شرعت أصلي لله من كل قلبي كي لا يكتشف مخبئي. لم يكتشفه بنفسه؛ إذ لم يكن حاد النظر ولا ذكياً، لكن أخته أليزا نظرت حول الغرفة وصاحت في الحال:

((إنها على حافة النافذة ، بالتأكيد ،ياجون.))

برزت من خلف الستائر فوراً لأن فكرة جذبي خارجاً بواسطة جون سببت لي الرعب.  
سألت بصوت مرتجف:

((مالذي تريده؟))

فكان جوابه القاسي: ((قولي: ما الذي تريده ياسيد جون؟)) ثم أضاف: ((أريد منك المجرى إلى هنا.))

جلس في أريكة وأشار إلي كي أقترب منه وأقف أمامه.

كان جون ريد طالباً في الرابعة عشر من العمر، أكبر مني بأربع سنوات. كان ضخماً نوعاً ما وسميناً بالنسبة لسنة. يتمتع بتفاسيم وحه خشنة، ذراعين وساقين غليظة، وببشرة سقيمة. كان يجب أن يكون بعيداً في المدرسة في تلك الأيام، لكن والدته اصطحبته إلى المنزل لقضاء شهر أو اثنين، ((بسبب صحته الدقيقة)). لكن مديره أكد ان حالته هي نتيجة الشراهة. ومع ذلك ؛ رفض قلب أمه مثل هذا الرأي القاسي، وفضلت الاعتقاد أنه كان يعمل بجهد كبير وغالباً ما أحس بالحنين إلى المنزل.

من ناحيه ثانية ، لم يكن مولعاً جداً بأمه وشقيقتيه، كما لم يكن ممتناً لما فعلته لجعله سعيداً. أما بالنسبة إلي قد احتقروني بالتأكيد وعاملني على نحو رهيب. علاوة على ذلك، كان يعاقبني بوحشية مرة أو مرتين في اليوم. لم يكن من الممكن لئتنجب عقابه الظالم ، إذ لم يجرؤ الخدم على إزعاج سيدهم الصغير، كما تظاهرت أمه أنها لاتراه وهو يضربني أو أن تسمعه وهو يهينني.

وبما أنني اكتسبت عادة طاعة جون، اتجهت إلى كرسيه.

أمضى بضعة دقائق يلوي وجهه ويمد لي لسانه . كنت متأكدة أنه سيضرب إثر ذلك، وفيما انتظرت الضربة بخوف، فكرت بمظهره المقرف والبشع، وتساءلت عما إذا أحس بما يجول في خاطري ، لأنه بغته، ومن دون التفوه بكلمة، ضرب بكل قوته، أو شكت أن أهوي أرضاً، وبعدها استعدت توازني، ابتعدت عدة خطوات عن كرسيه.

قال لي بقسوه: ((هذه لاستجواب أمي، وللزحف خفية إلى وراء الستائر، وللنظرة التي كانت في

عينيك الغيبيتين منذ ثلاثة دقائق أيتها الفأرة!))

لم يخطر لي أن أرد على إهانتته، إذ كنت معتادة جداً عليها. كنت أفكر فقط كيف سألتقى الضربة التي ستلي بالتأكيد.

سألني بقسوة : ((مالذي كنتِ تفعلينه وراء الستائر؟))

((كنت أقرأ)).

((في أي كتاب ؟ أريني أياه)).

عدت إلى النافذة وجلبت الكتاب وأنا أرتعش خوفاً.

((من سمح لك باستخدام كتبنا؟ ليس لك الحق في أخذها. أنت قريبة تعيسة فقيرة كما تقول والدتي. والداك كنا فقيرين للغاية، ولم يترك لك والدك أي مال على الإطلاق. ينبغي أن تتسولي، لا أن تعيشي مع أولاد أسياد مثلنا ، وتتأولي الطعام وتجلسي إلى المائدة ذاتها مثلما نفعل. لا ينبغي لك أن ترتدي الملابس على نفقة أمي. إن الكتب لي، وسأعلمك كيف تتدخلين برفوف كتبي . إن المنزل كله لي ، أو سيصبح لي في السنوات القادمة. اذهبي وقفي بجانب الباب بعيداً عن المرأة والنافذة.

أطلعت أمره على مضض، وأنا لا أدري ماذا ينوي أن يفعل. لكنني عندما رأيته يرفع الكتاب ويصوبه نحوي، قفزت جانباً مطلقاً صيحة رعب.

ولسوء الحظ ، لم أتمكن من التثني جانباً، في الوقت المحدد، فأصابني الكتاب الثقيل. وقعت وضرب رأسي الباب الذي جرحه. تدفق الدم وكان الألم غير محتمل . تجاوز خوفي كل الحدود، ثم تحول إلى غيظ شديد فصرخت بهيستيرية: ((كم أنت ولد شرير وسيء! أنت مجرم - أنت أبشع وحش رأيته - أنت مثل أباطرة روما القديمة الأشرار!))

فصرخ بدروه: ((ماذا! ماذا!)) وقد صعقه أن يُخاطب بمثل هذه الطريقة غير المتوقعة. ((هل قالت هذا عني؟ هل سمعتموها جميعكم؟ لا بد أن أخبر أمي! لكن قبل ذلك))

ثم أندفع نحوي وأمسك بشعري وكتفي ، وحاول أن يضربني. إلا أنه هاجم مخلوقة خطيرة: إذ شعرت فعلاً أنه مجرم، خاصة عندما أحسست بالدم الحار يسيل على عنقي من الجرح في رأسي . وفي هذه اللحظة تغلب شعوري بالمعانة على خوفي ، فهاجمته بوحشية. وكنت غاضبة جداً بحيث لم أعي ما فعلت بيدي . سمعته فقط ينادي: ((فأرة! فأرة!)) ثم أخذ يبكي بصوت مرتفع . وسرعان ما وصلته المساعدة عندما هرعت شقيقتاه إلى السيدة ريد التي سرعان ما وصلت، تتبعها بيبي وأبوت، خادمتها. قمن بفصلنا وسمعتهن يوبخنني وينتقدنني.

((يلها من فتاة صغيرة شريرة! كيف تجرؤين على مهاجمة السيد جون هكذا!))

((هل رأيتم مثل هذه الطباع الحادة؟ كم هي ناكرة للجميل ))

وبعد ذلك أمرت السيدة ريد:

((خذوها إلى الغرفة الحمراء ، واسجنوها هناك)).

## الفصل الثاني

### هل رأيت شيئاً؟

قاومت طيلة الطريق، وكان ذلك جديداً بالنسبة إلي، وتصرفاً ساند كثيراً الرأي السيء الذي كوّنته بيبي وأبوت عني.

((إمسكي ذراعها، فهي كالقطة المجنونة)).

ثم صاحت خادمة السيدة: ((يا للعار! يا للعار! يا له من تصرف رهيب يأنسه إير، أن تضربي شاباً هو ابن موكلك - وسيدك الشاب!))

((سيدي! كيف يكون سيدي؟ هل أنا خادمة؟))

((لا، بل ادنى من خادمة، لأنك لا تقومين بأي عمل لتكسبي قوتك. إجلسي هنالك، وفكري مجدداً بتصرفك الشرير.))

عند ذلك وصلا بي إلى الغرفة التي طلبتها السيدة ريد، ثم دفعاني إلى كرسي. بدأت أنهض منها كالرفاص، لكن أيديهما منعتني من ذلك في الحا.

قالت بيبي: ((إن لم تجلسي بهدوء، لا بد من ربطك.)) أعيرني حزامك يا آنسه أبوت. فهي ستقطع حزامي بسرعه.))

((لا تفعلي ذلك،)) صرخت لها. ((لن اتحرك.))

((احذري أن تفعلي ذلك.)) قالت بيبي، وعندما تأكدت من أنني أصبحت أكثر هدوءاً، أخرجت قبضها علي، وقفت هي وأبوت بذراعين مكتوفتين، وهما تنظران بغضب وشك إلى وحيي.

قالت بيبي أخيراً وهي تلتفت إلى خادمة السيدة:

((لم يسبق لها أن فعلت ذلك من قبل.))

((لكن هذا كان دائماً بداخلها،)) كان الرد. ((وأننا غالباً ما أخبرت السيدة عن رأيي بشأن الطفلة وافقتي الرأي. فهي إنسان صغير مخادع.))

لم تجب بيبي، لكن بعد وقت قصير خاطبتني قائلة:

((ينبغي أن تعلمي يا آنسة عليك أن تكوني ممتنة للسيدة ريد. فهي من يعول عليك. فإن أبعدتك. من سيهتم بك؟))

لم يكن لدي ما أقوله رداً على تلك الكلمات. فهي لم تكن جديدة علي. إذا سبق لي أن سمعت

الكثير من المقترحات المتشابهة من قبل ، مؤلمة جداً وجارحة لكرامتي ، لكنها نصف مفهومة . وبعد ذلك انضمت آبوت قائلة:

((كما لا ينبغي لك أن تعتقدين أنك مساوية للآنستين ريد وللسيد ريد ، لأن السيدة بعطف تسمح لك ، تترعري معهم . إذ سيصبح بحوزتهم مبلغاً من المال ، ولن تحصيلي أنت على شيء . أن من واجبك أن تكوني متواضعة ، وأن تحالوي أن تجعلي نفسك مصدر رضى لهم)).  
((ما نقوله لك هو من أجل صالحك ،)) أضافت بيبي بصوت أرق . ((ينبغي أن تكوني ذات فائدة وتتالي رضاهم . عندئذ ، سيكون لديك مأوى هنا . لكن إن غدوت عصبية ووقحة ، ستبعدك السيدة . أنا متأكدة من ذلك)).  
((إلى جانب هذا،)) قالت آبوت ، ((إن الله سيعاقبك . ربما يريدك قتيلاً في غمرة غضبك . تعالي يا بيبي ، سنغادرها . ربما هبط شيء من المدخنة وأخذك بعيداً)).  
وخرجتا وقد أغلقتا الباب ، ثم أفلنانه خلفها.

كانت الغرفة الحمراء مربعة الشكل ، مفروشة بالأثاث الخشبي الداكن ، سجادة حمراء سميكة ، سرير ضخم ، وستائر حمراء هي دائماً مسحوبة عبر النوافذ . وكانت هذه الغرفة باردة لأنها نادراً ما شعلت فيها النار ؛ وهادئة لأنها بعيدة عن حجرة الأطفال وعن المطبخ ؛ ذات رهبة لأنها قلما دخلت . إنها المكان حيث توفي السيد ريد منذ تسع سنوات . لم أكن متأكدة تماماً من أنهما أفلننا الباب ، وعندما تجرأت على الحراك ، نهضت وذهبت كي أتأكد . آه ، نعم ! ما من سجن موحد بإحكام أكثر منها .

ما زال رأسي يؤلمني وينزف بسبب الضربة والسقطة التي تلقيتهما . مامن أحد ألقى اللوم على جون لضربي من دون سبب . فكرت ((هذا غير عادل))! ثم بدأت أخطط لنوع من الهرب ، كالفرار بعيداً ، أو الكف عن الطعام والشراب وترك نفسي حتى أموت . بدأ ضوء النهار يغادر الغرفة . إذ تجاوزت الساعة الرابعة ، وتبع بعد ظهر غائم غسق كثيب . سمعت المطر يضرب باستمرار على نافذة السلم ، والريحتصفير في الأشجار من وراء المنزل . أصبحت باردة تدريجياً ، ثم تلاشت شجاعتي . فالجميع قال أنني شريرة ، وربما كنت كذلك .

ثم اتجهت أفكاري نحو خالي . لم اتمكن من تذكره ، لكنني كنت أعلم أنه شقيق والدتي ، وأنه أخذني كفتاة يتيمة إلى منزله ، وأنه قبل أن يموت ، تلقى وعداً من زوجته ، السيدة ريد ، بأن تعنتي بي كأحدى أطفالها .

ثم خطرت ببالي فكرة . لم يساورني الشك قط أنه لو كان السيد ريد على قيد الحياة لعاملني بعطف ، والآن ، في الظلمة المتزايدة ، بدأت أتذكر قصص الاموات ، الذين يقلقون في قبورهم بسبب إهمال أمنياتهم الأخيرة ، يعودون لزيارة الارض ، ربما انتصب شبح السيد ريد أمامي ، ملأنتي هذه الفكرة بالرعب بدل من أن تريحني ، في هذه اللحظة ، لمع شعاع من الضوء على الحائط . ربما كان من مصباح حُمل خارجاً عبر المرج ، لكنه بدا لأعصابي

المتوترة والمستعدة لخوف كإشارة إلى شخص قادم من العالم الآخر ز خفق قلبي بشدة وغدا رأسي حاراً . ملأ صوت أذني ، وقد بدا وكأنه اندفاع لأجنحة . ركضت بيأس إلى الباب وهزرت القفل . أتت خطوات مسرعة على طول الممر الخارجي ، أدير المفتاح ، ثم دخلت ببسي وآبوت .

قالت ببسي : ((هل أنت مرضة يآنسة إير؟))

((يالها من ضجة رهيبية! لقد اخترقتني تماماً!)) قالت آبوت بدهشة .

((أوه ، لقد رأيت ضوءاً ، فاعتقدت أن شبحاً قد أتى .))

أمسكت الآن بيد ببسي ن لكنها لم تصدقني . ثم أعلنت آبوت بقرف : ((لقد صرخت عن قصد . ويا لها من صرخة! لو كانت بألم شديد لكان هنالك عذراً لذلك ، لكنها أرادت فقط أن تحضرنا جميعاً إلى هنا . أنا أعرف حيلها الشريرة .))

((ما هذا كله؟)) سأل صوت آخر بحدة . إذ وصلت السيدة ريد عبر الممر . ((آبوت وببسي ، أعتقد أنني أصدرت الأوامر بأن تُترك جاين إير في الغرفة الحمراء ريثنا آتيها بنفسي .))

أجابت ببسي : ((لقد صرخت الأنسة جاين بصوت مرتفع جداً ياسيدتي .))

((أتركيها،)) كان ذلك الرد الوحيد ، ((أتركي يد ببسي أيتها الطفلة ؛ إذ لم تتجحي بالخروج بواسطة تلك الطرق . فأنا أكره الحيل ، خاصة في الاطفال . أن من واجبي أن أبين لك أنك لن تتجحي ، ستمكثين هنا ساعة أكثر ، وسيكون ذلك مشروطاً بالطاعة التامة والهدوء .))

((أوه يا خالتي! أشفقي علي! سامحيني! فأنا لا أستطيع التحمل! عاقبيني بطريقة أخرى!))

((أصمتي! إن هذا العنف مقرف للغاية .)) لم تصدقيني . أعتقد بأنني أظاهر .

بعدما خرجت ببسي وآبوت ، وبعدما نفذ صبر السيدة ريد من صراخي الشديد ، دفعتني إلى الزراء وأقفلت علي دون المزيد من الكلام . سمعتها تبتعد ، وبعدما غادرت على الفور ، بدا رأسي يدور ويدور ، ثم وقعت أرضاً غائبة عن الوعي .

## الفصل الثالث

### زيارة السيد لويد

الشيء الثاني الذي أذكره هو استيقاظي وشعوري أنه راودني حلم مخيف ، أني رأيت ضوءاً أحمر ساخناً رهيباً أمامي ، تبعه قضبان غليظة . سمعت أصواتاً أيضاً ، تتحدث بصوت بعيد وغير واضح . القلق والخوف أربكا حواسي . ثم أدركت أن شخصاً ما يرفعني بلطف أكثر مما رفعت في السابق . أسندت رأسي إلى وسادة ، وشعرت بالراحة.

زالت سحابة الإضطراب في غضون خمس دقائق . أدركت جيداً أنني في سريري ، وأن الضوء الأحمر آت من النار في غرفة الأطفال . كان الوقت ليلاً ، وكانت شمعة مضاءة على الطاولة . وقفت ببسي عند أسفل السرير حاملة وعاء بيدها ، فيما جلس سيد في كرسي بالقرب من وسادتي ، ينحني فوقي.

شعرت بارتياح لا يوصف ، من الحماية والأمان عندما عرفت أن هنالك غريب في الغرفة ، شخص لا ينتمي إلى غايتسهيد ، ولا هو قريب للسيدة ريد . بعدما أشحت بنظري عن ببسي ، تفحصت وجه الزائر ، فعرفته. أنه السيد لويد الذي يحتفظ بديكان لبيع العقاقير والذي أحضر أحياناً من قبل السيدة ريد عندما كانت تمرض إحدى الخادמות . فيما استخدمت طبيباً آخر لها ولأطفالها . سألني:

((حسناً، من أنا؟))

نطقت بإسمه وأنا أقدم له يدي في الوقت ذاته . تناولها مبتسماً وهو يقول : ((سوف تتحسنين بسرعة.)) ثم خاطب ببسي يحذرها كي تكون شديدة الإنتباه كيلا يتم إزعاجي خلال الليل . وبعدها أعطى المزيد من الإرشادات ، غادر قائلاً أنه سيزور مجدداً في اليوم التالي. سألت ببسي بلطف نوعاً ما : ((هل تشعرين أن بمقدورك الخلود إلى النوم يأنسة؟)) وبالكاد تجرأت على إجابتها ، إذ خشيت أن تكون عبارتها التالية قاسية. ((سأحاول.))

((هل ترغبين في الشرب ، أو تستطيعين تناول شيئاً من الطعام؟))

((لا، شكراً لك يا ببسي.))

((إنني أعتقد أنني سأوي إلى الفراش ، لكن يمكنك أن تتاديني إذا ما احتجت شيئاً في الليل.)) دخلت ببسي غرفة الخدم المجاورة . ثم سمعتها تقول:

((تعالني ونامي معي في غرفة الأطفال ياسارة . إذ لا أجرؤ على البقاء بمفردي مع الطفلة

المسكينة الليلة: فهي ربما تموت . من الغريب أن تفقد الوعي هكذا . أتساءل عما إذا رأيت شيئاً . فالسيدة كانت قاسية جداً معها)).

عادت سارة معها ، وبعد نصف ساعة من الهمس معاً سرعان ما استغرقت كلاهما في النوم أما بالنسبة لي ، فقد كان ليل من اليقظة.

في اليوم التالي ، عند الساعة الثانية عشرة ، كنت يقظة مرتدية ملابس ، وجالسة ملتفة بخرقه بجانب النار . أحسست بوهن في الجسد ، ولكن المشكلة الأسوأ كانت تاعسة لا توصف في الذهن ومع ذلك ، فكرت ، ينبغي أن أكون سعيدة ، لأن جميع أفراد عائلة ريد قد خرجوا في العربة.

كانت أبوت تخطيط في غرفة أخرى ، وتحدثت إلى بيبي بين الحين والآخر بلطف غير معهود فيما تنقلت في غرفة الأطفال تقوم بعملها . بعد ذلك أيضاً ، أتت كعكة من المطبخ على طبق ملون بألوان زاهية ، أحببته من زمن طويل لكن مُنعت من لمسها . الآن وُضع هذا الطبق الثمين على ركبتي . ودُعيت للأكل . لانه معروف بلا فائدة ! إذ لم تكن لدي الرغبة بالأكل . فسألتي بيبي ما إذ أحببت الحصول على كتاب ، فرجوتها أن تأتيني — ((رحلات غاليفر)) من المكتبة . لقد قرأت هذا الكتاب مراراً وتكراراً بفرح ، لكن عندما وُضع في ملأت الصور التي غالباً ما منحتني اللذة ، صور الرجال الكبار والصغار ، ملأت ذهني خوفاً ، فأغلقت الكتاب.

أنجزت بيبي الآن التنظيف ، وبدأت الخياطة . وفيما هي تقوم بذلك ، أخذت تغني . تمتعت بصوت رخيم ، لكن الأغنية كانت حزينة ، عن طفل يتيم.

((هيا يا آنسة جاين ، لا تبكي،)) قالت عندما انتهت . وكانت كأنما تقول للنار ((كفي عن الإحتراق)).

بعد ذلك بوقت قصير دخل السيد لويد.

قال وهو يدخل غرفة الأطفال : ((ماذا ، لقد استيقظتِ ! حسناً أيتها الممرضة ، كيف حالها؟)) أجابت بيبي أنني على مايرام.

((إذن ينبغي أن تبدو أكثر مرحاً . تعالي هنا يا آنسة جاين . لقد كنتِ تبكين: هل يمكن أن تخبريني لماذا ؟ هل شعرتِ بأي ألم؟))

((لا يا سيدي)).

قالت بيبي : ((أوه ، أفترض أنها تبكي لأنها لم تتمكن من الخروج في العربة مع السيدة)).

أجبت على الفور : ((لم أبكِ أبداً لمثل هذا الشيء في حياتي! فأنا أمقت الخروج في العربة . أبكي لأنني تعيسة)).

قالت بيبي: ((هذا هراء ياآنسة)) !

بدا السيد لويد مندهشاً قليلاً . ركز عينيه علي بثبات شديد. وبعدها تأملني لبعض الوقت ، قال :

((مالذي سبب مرضك البارحة؟))

قالت بيبي مقاطعة الحديث مجدداً : ((لقد وقعت)).

((وقعت! لماذا ، فهذا يُقال عن الأطفال! ألا تتمكن من المشي في سنها هذا؟))

((لقد صُرعت،)) كان شرحي الذي استدرجه جرح كبريائي . ((لكن ذلك لم يتسبب بمرضي)).

في تلك اللحظة قرع جرس بصوت مرتفع . كان لدعوة الخادمت للغداء.

قال السيد لويد: ((إنه لك أيتها الممرضة . يمكنك النزول)).

كانت بيبي تفضل البقاء ، لكن عليها الذهاب لأن دقة مواعيد الوجبات فرضت بشدة في غابيتسهده .

تابع السيد لويد بعدما خرجت بيبي: ((لم يتسبب الوقوع بمرضك مالذي سببه إذن؟))

((لقد سُجنت في غرفة حيث يوجد شبح)).

رأيت السيد لويد يبتسم وبدو مدهشاً في آن معاً . ((شبح! ماذا ، فأنت الطفلة قبل أي شيء !

أنت تخافين الأشباح؟))

((من شبح السيد ريد . لقد مات في تلك الغرفة . لا بيبي ولا أحد سواها يدخلها في الليل، لو

استطاعوا الحؤول دون ذلك كان من الظلم أن أسجن فيها بمفردي ومن دون شمعة)).

((وهل هذا ما يجعلك تعيسة لهذا الحد؟))

((بل أنا تعيسة لأسباب أخرى))

((ماهي الأسباب الأخرى؟ هل تستطيعين البوح ببعض منها؟))

كم وددت أن أجيب على هذا السؤال جواباً كاملاً ! فالأطفال يشعرون ، لكنهم لا يستطيعون

تفسير مشاعرهم.

((لسبب واحد ، ليس لدي أب أو أم ، أشقاء أو شقيقات)).

((لكن لديك خالة طيبة وأولاد خال)).

((لكن جون ريد صرعني ، وخالتي سجننتي في الغرفة الحمراء)).

توقف السيد لويد وبدا مفكراً ، ثم سأل:

((ألا تعتقدين أن غابيتسهده هو مكان جميل جداً ؟ ألسنت حسنة الحظ كي تتمكني من العيش

هنا؟))

((إنه ليس منزلي يا سيدي ، وأبوت تقول أن حقي هو أدنى من حق خادمة)).

((لكن لن ترغبي في مغادرة مثل هذا المكان الرائع؟))

((لو أن لدي مكان آخر أذهب إليه ن سأكون سعيدة لمغادرته)).

((أليس لديك أقارب من ناحية والدك؟))

((لا أدري. سألت الخالة ريد مرة ، وقالت أنه ربما لدي أقرباء فقراء ووضعاء باسم إير ،

لكنها تجهل كل شيء عنهم)).

((هل تودين الذهاب إلى المدرسة؟))

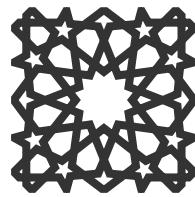
وفكرت بالأمر . إذ أنني بالكاد أعرف ماهي المدرسة . جون ريد كان يكره مدرسته ، وتحدث على نحو مهين عن أستاذه ، إلا أن آراء جون ريد ليست آرائى . كما أن الأحاديث عن نظام المدرسة التي جمعتها عن شبّات العائلة حيث عاشت قبل قدومها إلى غايتسهذ كانت مرهبة ، لكن تفاصيلها عن بعض الإنجازات التي حققتها تلك السيدات الشابات كان ملثقة . إذ تحدثن باعتزاز عن اللوحات الجميلة للمناظر والازهار التي رسمتها ، والأغاني التي أنشدت والموسيقى التي استطعن عزفها ، والكتب الفرنسية التي استطعن ترجمتها ، إلى أن أُثيرت روعي للمنافسة . علاوة على ذلك ، ستكون المدرسة بمثابة تغيير جذري ، وبداية حياة جديدة.

قلت أخيراً : ((حقاً أرغب في هذا الذهاب إلى المدرسة)).

((حسناً ، من يدري مالذي يمكن أن يحدث ؟))قال السيد لويد وهو ينهض . وعندما عادت بيبي في تلك اللحظة قال لها :

((هل عادت سيدتك؟أود التحدث إليها قبل أن أرحل)).

في تلك الليلة ن عندما جلست بيبي وآبوت تخيطان في غرفة الاطفال ، وهما تظنان أنني نائمة ، علمت من خلال حديثهما أن السيد لويد أفنع السيدة بإرسالي إلى المدرسة . وفي المناسبة عينها سمعت لأول مره من خلال معلومات آبوت التي أعطتها إلى بيبي أن والدي كان كاهناً فقيراً ، وأن أمي تزوجته رغماً عن مشيئة أصدقئها ، وأن جدي كان غاضباً جداً لعصينها بحيث لم يترك لها شيئاً عندما توفي ، وأنه بعد سنه من الزواج التقط والدي الحمى بالعدوى لدى زيارة المعدمين ، وأن والدتي التقطت المرض منه ن وأن كلاهما توفي إثر ذلك بسرعة.



مع تحيات

مكتبة مدّاوي

[www.maddawi.net/book](http://www.maddawi.net/book)

مكتبة عربية تحتوي كل جديد في عالم الكتاب الرقمي